اولا:العلاج بالاعشاب من عمر التاريخ

حقيقة منذ ان خلق الله تعالى سيدنا ادم عليه السلام ولعبت النباتات والاعشاب والوصفات العلاجية الشعبية دورا هاما فى صحة وعلاج البشرية وظل هذا النوع من العلاج الفولكولوري دعامة الطب لفترات طويلة وكانت هذه المعلومات عن الوصفات العلاجية الطبيعية تنتقل شفويا من جيل الى جيل من خلال العادات والتقاليد والاساطير والحكايات بل والأغاني والأمثال والحكم الشعبية لدى الكثير من دول العالم وفى مقدمتها مصر الفرعونية والهند والصين وبلاد مابين النهرين (بابل واشور) واليونان القديمة منذ الآف السنين قبل الميلاد.

جاء في البرديات الفرعونية التي عثر عليها العلماء في مدينة منف التي ربما يرجع تاريخ كتاباتها الى نحو ٥٠٠٠ سنة ق.م قائمة طويلي تحتوي على ٧٠٠ نبات تتضمن عقاقير مسهلة مثل السنامكى والخروع ووصفات اخرى لعلاج امراض القلب من احدى النباتات من فصيلة بصل العنصل. أما بردية ايبرز الطبية الفرعونية فسجلت عليها أكثر من ٨٠٠ وصفة علاجية مكونة من الأعشاب والنباتات. وجاء أيضا في احدى البرديات التي يرجع تاريخ كتابتها الى نحو أكثر من ٢٠٠٠ عام ق.م أن وسائل منع الحمل التي كانت مستعملة في ذلك الوقت استخدمت فيها أشواك نبات السنط المطحونة جيدا أو مخلوطة من البلح وعسل النحل بعد غمسها فى نباتات طبيعية ثم استعمالها موضعيا على شكل لبوس مهبلى وبعد الاف السنين على

هذه الوصفة اتضح العلماء المحدثين أن المادة الفعالة في نبات السنط هي نفسها المستعملة حاليا في معظم المواد الحديثة المانعة للحمل كذلك اكتشف العلماء عدة الواح في اطلال مدينة نيبوز السومرية أهل بابل وأشور يرجع تارخها الى حوالى ٤٠٠٠ سنة نقشت عليها وصفات علاجية مكونة من النباتات والأعشاب أما إذا كانت القدرة على تخفيف الألم تعتبر هي أعظم انتصار حققه الطب الحديث فقد تحقق ذلك منذ الاف السنين على أيدي الفراعنة الذين عرفوا العديد من أنواع العقاقير النباتية المزيلة للالام مثل السكران والبنج والافيون والحلتيت وكذلك أهل الصين القدماء الذين عرفوا هذه الأنواع من النباتات أيضا العديد من الوصفات العلاجية لحالات الآم والربو ومن ضمن ما يروى أنه في عام ٢٧٠٠ ق.م وصف أحد الإطباء الصين ٢٥٠ نوعا من النباتات وفوائدها العلاجية وسجلها في أول كتاب صيني عن العلاج بالأعشاب وظهر في القرن الثاني الميلادي بالصين المعالج الشعبي ذائع الصيت هانج كانج الذي كان يتوسل إليه النبلاء للدخول في حاشيتهم وترك عالم النباتات ولكن دون جدوى عندما ضهر الفيلسوف اليوناني ثيوفراست حوالي ٣٧٢-٢٧٨ ق.م وضع متابا عن تجاربه العلاجية في النباتات والاعشاب ومن بعده الطبيب العسكري الروماني ديسكوريدوس من أصل يوناني في القرن الأول اليوناني الذي وضع مؤلفه المادة الطبية وهو يحتوي على عدد كبير من النباتات وخواصها العلاجية ثم جاء من بعده الطبيب اليوناني الشهير جالينوس ١٣١-

٢٠٨م واستطاع استغلال هذه المعارف الطبية عن خواص النباتات وسجلها في عدة كتب شكلت تراثا طبيا عظيما عن طرق العلاج بالأعشاب التي استطاع الرهبان في أوروبا احتكارها لفترات طويلة حيث تذكرنا قصة المركيزة فرنسيسكان سنة ٣٦٠م التي عجز الطب عن علاجها واتفقت أراء الأطباء على أنها حالة ميئوسة من علاجها وستموت بعد ثلاثة أيام لكن زوجها الماركيز لم يفقد الأمل ودعا رجل كبير السن متخصصا في العلاج بالاعشاب وكان يقطن في صومعة فوق جبل النديز وكل من يطلب العلاج من المرض أو الإصابة يذهب إليه فطلب الماركيز سرعة إستدعائه ولما حضر إلى القصر قال له لو شفيت زجتي لأعطيتك كل ما تتمناه فقال الشيخ العجوز شافيها لوجه الله وأخرج من كيسه الممتلئ بالأنواع المختلفة من الأعشاب بعضها منها وغلاها في الماء وصنع منها شرابا تناولته الماركيزة المريضة فنامت في استرخاء. وظن أن كل من بجوارها أنها فارقت الحياة ولكن الرجل العجوز أكد لزوجها أنها شفيت وكان ما قاله صحيحا لأن قشور الشجرة التي صنع منها الشراب هي شجرة سنكونا لدجريانا وهذا هو الاسم العلمي لقشور لحاء أشجار الكينا التي استخرج منها العلماء المحدثين بعد ذلك مادة الكينين التي ظلت تعالج حالات حمى الملاريا لأكثر من ٣٠٠عام تقريبا مع العصر الوسيط وقبل نهاية القرن التاسع الميلادي كتب شيخ النباتيين العرب والعالم المسلم الدينوري مؤلفه عن النباتات الذي يقع في ٣٣٣ صفحة

ومازال هذاالمخطوط موجودا في جامعة اسطنبول بتركيا الذي صنف فيه أنواع النباتات وصصفها بدقة متناهية متعرضا لخصائصها وفوائدها ثم تبعه بعد ذلك زميله الطبيب المسلم البيروني ٩٦٣-١٠٤٨م الذي عاش في الهند لفترة طويلة وكتب معظم مؤلفاته باللغة العربية ١٨٠ كتابا بين مطبوع ومخطوط ومفقود والذي يهمنا في كل هذه المؤلفات كتابه الشهير الصيدلة في الطب الذي نشرت ترجمته الانجليزية أكاديمية هامداراد بالباكستان عام ١٥٧٣م والخبراء يعتبرونه أول كتاب عن العقاقير في حالتها الطبيعية وأورد فيه نحو ٨٥٠ عقار نباتيا محددا أسمائها باللغات المختلفة وذكر فيه خواص كثير من العقاقير النباتية وقواها العلاجية وجرعاتها المختلفة لكن عندما جاء الطبيب الفيلسوف المسلم الموسوعي المعلومات ابن سينا ٩٨٠-١٠٣٧ الذي كان بينه وبين العالم البيروني عدة مراسلات ودراسات تبعه بمؤلفه الخالد القاموسى في الطب الذى تكلم فيه بايضاح وتركيز عن لعديد من النباتات والاعشاب المفردة والمركبة وفوائدها العلاجية وفي القرن الثانى عشر الميلادى كتب الطبيب العربي أحمد الغافقي من قرطبة مؤلفة عن زراعة وفوائد النباتات والاعشاب. عندما جاء ابن البيطار ١١٩٧-١٢٤٨م رئيس عشابين مصر اشتهر بمؤلفين هما كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية وهي مجموعة من الوصفات العلاجية البسيطة المستخلصة من النباتات والكتاب الثاني المغني في الأدوية المفردة الذي حدد فيه تأثيرات وفوائد كل نبات على حدة وهو يحتوي

على مئات الأنواع من الأعشاب كان ذلك منذ قديم الزمان الى أن تطور الطب وأنتجت الأدوية الكيماوية وبدا العلاج بالأعشاب يتقلص ويتراجع شيئا فشيئا حتى أصبح بين دعوتين الأولى تنادى بالعلاج بالأعشاب ومازال صداها حتى الأن من أجل عدم التعرض للأثار الجانبية الضارة للعلاج بالكيماويات والدعوة الثانية تدعو إلى عدم الرجوع إلى الوراء بعد ما حقق الطب الحديث نجاحه بفعل المستحضرات الدوائية الحديثة ونحن طبعا لا نريد الرجوع إلى الخلف والابتعاد عن تكنولوجيا العصر ولكن إذا كان هناك عقار يعالج المرض ويترك أثارا سيئة في جسم المريض أو مضاعفات سلبية فلماذا لا ينتج بديلا عنه مستخلصا من الاعشاب والنباتات الطبيعية باسلوب عصري حديث وهل هناك أي مانع من الاستفادة من الوصفات العلاجية الشعبية بعد التحقق العلمي من تأثيرها وفوائدها من أجل التخلص من الأمراض.

ثورة الطب الأخضر على التلوث الدوائي

شهدت السنوات الأخيرة موجات الاهتمام العارمة التي اجتاحت معظم دول العالم نتيجة لتجاوزات الحضارة التكنولوجية وما تسببه الأدوية الكيماوية من إخطار على صحة الانسان يوما بعد اخر نظرا لإنتاج كميات هائلة من الأدوية الجديدة المخلقة كيميائيا وامتلأت بها رفوف الصيدليات وأصبحت في متناول أيدى الجميع وتبعا لذلك زاد معدل استهلاك المواطنين لكميات وأنواع كثيرة من تلك الادوية الصناعية مثل المهدئات والمقويات والمسكنات والمضادة لحالات البرد والصداع....الخ بشكل يدعو إلى القلق مما يؤدي إلى ما يمكن أن يسمى بالتلوث الدوائى. إن معظم العلماء يعترفون حاليا بأن نسبة البشر الذين يموتون نتيجة لمضاعفات الأدوية الكيميائية التي يتناولونها ويؤكدون أن معالجة الأمراض بالأساليب الطبيعية أسهل بكثير جدا من معالجتها بالعقاقير الصناعية التي تعتبر سلاحا ذو حدين وقد أثبتت الدراسات الطبية أن لها مضاعفات سيئة وخطيرة أحيانا كثيرة وخاصة عندما يكون للمريض حساسية لدواء معين مثل السلفا أو البنسلين أو عندما يتناول المريض جرعات كبيرة من هذه الأدوية أو لفترات طويلة هذه التاثيرات ضرر ظهور أعراض الصداع والقيء أو المغص والإسهال أو ضيق التنفس وأحيانا الإصابة بالربو الشعبي أو الالتهابات الجلدية وفقر الدم أو اضطرابات الجهاز الهضمى والكبد ولهذا نلاحظ مدى شدة حرص الطبيب في استعمال هذه الأدوية عندما يحدد

للمريض جرعات قليلة من الدواء ليتناولها في مواعيد محددة بدقة خوفا من أن يؤدي كثرة تناولها إلى عواقب وخيمة فمثلا تعاطي قرص الأسبرين وإن كان يساعد على الراحة الوقتية من الصداع إلا أن كثرة تناوله تؤدي إلى نزيف المعدة وكذلك تعاطي قرص النوفالجين الذي يسكن الآلام من ناحية تجده يلتهم كرات الدم البيضاء من ناحية أخرى تلك الكرات التي مهمتها الأساسية حماية الجسم من الميكروبات وأيضا أقراص السلفا التي تستخدم في القضاء على الجراثيم بالجسم أثناء حالات الإصابة بالأمراض نجدها في نفس الوقت تعمل على تكثير كرات الدم الحمراء وتسبب فقرالدم وتقليل درجة المقاومة الطبيعية بالجسم وربما تؤدي إلى حدوث اضطرابات الكلى والكبد إن الأمر لا يقتصر على تلك الأعراض الجانبية السيئة لأقراص الإسبرين والنوفالجين والسلفا وإنما هناك الكثير من الأدوية الكيميائية التي تسبب حدوث قرحة في المعدة واضطرابات الغدد الصماء وتؤدي إلى زيادة نسبة السكر في الدم واختزان الأملاح و الماء في الجسم أو الصداع النصفي أو انخفاض ضغط الدم أو فقد الشهية أو تقليل الرغبة الجنسية إلى اخره... ومن المعروف علميا أن جميع الأدوية المضادة للميكروبات لها أضرار جانبية سيئة في معظم الأحوال مما دفع العلماء المطالبة بالعودة والإعتماد على الأعشاب الطبية في علاج المرضى واستبدال العقاقير الصناعية بالطبيعية حقيقة أن الأدوية الكيميائية تعالج الإنسان من مرض خطير ولكنها في نفس الوقت ربما

تصيبه بمرض اخر لأنها مصنعة من مواد غير طبيعية بعكس النباتات والبذور الطبيعية التي لا تسبب الأضرار في معظم الحالات لأنها هي أصل الدواء ولكن العقاقير الكيميائية هي الصورة الضارة والمهزوزة حيث أكدت الدراسات الطبية الحديثة قدرة الأعشاب في علاج الأمراض والعقاقير الكيميائية دون أي أضرار جانبية فمثلا ظهر أن زيت البرجموت الطبيعي المستخلص من النبات أمكن استعماله بنجاح في علاج البقع الجلدية البيضاء بفاعلية أكثر من زيت البرجموم المصنع كيميائيا والذي لا يستطيع منافسته اطلاقا كذلك اتضح للعلماء أن مادة الخلين المستخرجة من نبات الخلة ليست علاج فعال لضيق وعلاج المسالك البولية وإخراج حصوات المثانة فقط وإنما تعتبر علاجا رائعا لعلاج الذبحة الصدرية ونوبات الربو ومنع التقلصات العضلية وأمراض الكلى وتزيد من كمية الدم في الأوعية التاجية وهي بذلك تعتبر علاجا رائعا لحالات الذبحة الصدرية كما أظهرت نتائج الأبحاث أن بذور الخلة الشيطاني لها فاعلية عظيمة في علاج البرص والبهاق والثعلبة نظرا لوجود مادة الأمودين الميلادنين وأيضا اتضح أن العرقسوس يهبط ضغط الدم المرتفع وملين المعدة ومدر للبول وأثبتت التحاليل المعملية أنه يحتوى على مادة تشبه الهرمونات الكورتيزون الطبيعي أما الخروب فانه يفيد في علاج الدوسنتاريا بينما التين البرشومي يعالج مرض البهاق ويدخل زيت القرنفل في عمل أكسيد الزنك واستخدامه في حشو الأسنان المؤقت وعلاج الجذور ومسكن ألآم

الأسنان كما أثبتت الدراسات الطبية أن نبات الحناء الذي كان مستعملا عند الفراعنة له فوائد عظيمة في علاج الأمراض الجلدية التي يستعصى علاجها بالأدوية الكيميائية وأن نبات البابونج بجانب احتوائه على مادة الأزولين يحتوي أيضا على مواد أخرى في معالجة العفونة ومسكن للالآم وعلى مادة تفيد في إدرار العرق ومادة أخرى تعمل على إزالة التشنجات ومثلها تبيد الجراثيم وعدة خواص علاجية تساعد في علاج كثير من الحالات المرضية ونظرا لهذه الفوائد المتعددة قامت معظم الشركات العالمية لصناعة الأدوية بإدخال مستخلصات نبات البابونج في تصنيع الكثير من الأدوية الفعالة لإزالة حالات عسر الهضم وتقلصات المعدة والاحتقانات الشديدة وتسكين وإزالة الالام دون أي مضار جانبية كذلك اتضح أن بذور الحلبة تحتوي على زيت مقوى له تأثيرات فعاله في تنشيط وتقوية غدد الثديين وهو فاتح للشهية ومفيد للجهاز الهضمى وتحتوي الحلبة على العديد من المواد العلاجية الفعالة التي تتخلل كافة الانسجة الحيوية بالجسم ولها القدرة على زيادة إدرار اللبن للمرضعات.

الوصفات الشعبية بين الحقيقة والخيال

كانت ومازالت الوصفات الشعبية العلاجية لها مكانة مرموقة في حياة الشعوب منذ وجود الإنسان على سطح الأرض ولهذا توارثت الأباء عن الأجداد العديد من هذه الوصفات التي شكلت تراثا طبيا شعبيا ظل محور العلاج الطبى لفترات طويلة إلى أن استطاع العلماء في القرن التاسع عشر الميلادي استخلاص المواد الفعالة من النباتات والأعشاب المكونة لهذه الوصفات وكان في مقدمتها المورفين والأستركينين والأتروبين والأفيدين وغيرها من المستحضرات الطبية ولكن مع بداية القرن العشرين وبفضل التقدم العلمي والتكنولوجي لصناعة الأدوية استطاع الأنسان تدريجيا الإستغناء عن الأعشاب في العلاج واستبدالها بالعقاقير الكيميائية وإنه بالرغم من التقدم العلمي الحديث في كافة علوم الطب والصيدلة إلا أننا أحيانا نسمع بين الحين والأخر عن نجاح بعض الوصفات العلاجية الشعبية في علاج أو تخفيف مشاكل بعض الأمراض مثل قرحة المعدة أو القولون أو الذبحة الصدرية أو الأمراض الجلدية ..الخ أو عن اكتشاف مادة علاجية من بعض الأعشاب والنباتات مثل علماء السويد والولايات المتحدة الذي استطاع الوصول إلى اكتشاف مادة جديدة من النبات لاستعمالها ضمن موانع الحمل ويمكن تعاطيها عن طريق الفم مرة أو مرتين فقط في الشهر بدلاً من عشرين مرة كما هو الحال مع القرص التقليدى كذلك تمكن حديثا فريق من علماء الصين من الوصول إلى مستخلص نباتي

من بذور القطن كمانع للحمل كان من ضمن إحدى الوصفات الصينية القديمة وقد أظهرت الإختبارات الحالية شواهد إيجابية حيث ظهر مفعول هذا المستخلص النباتي بعد انقضاء حوالي ٤-٥ أسابيع على بدء تعاطيه بجرعات يومية عن طريق الفم وربما يصبح هذا الدواء مانعا للحمل أيضا بالنسبة للرجال كما استطاع بعض العلماء اكتشاف أنواع من النباتات التي تحتوي على منتجات يشبه تركيبها الكيميائي تركيب بعض المركبات العضوية والكيميائية المعروفة باسم استيرويدات وهي مجموعة من المواد الطبيعية الموجودة بجسم الإنسان وتحتوي على الفئات الثلاثة الرئيسية للهرمونات الجنسية وهي اندروجين–استروجين–برجستون التي تتحكم في الجهاز التناسلي للإنسان والتي تفرزها قشرة الغدد الكظرية فوق الكلوية بغرض حفظ التوازن الحيوي في الجسم ومثل هذه الأبحاث الجادة تشكل فصلا جديدا ممتعا فى تاريخ الاكتشافات العلمية والاستفادة من الوصفات الشعبية لذلك يجب على السادة الإطباء عدم رفض الاستفادة من تلك الوصفات الشعبية في العلاج بصفة قاطعة أو الحكم على عدم فوائدها مسبقا أمر غير علمي وإنكار وجود تأثيرات علاجية أمر غير منطقي لأن الأسلوب العلمي في الحكم على مثل هذه الأمور يخضع دائماً كل شيء للتجربة حيث يثبت نجاحها أو فشلها وأكبر دليل على ذلك المشهد التالي – الزمان ..عام ١٩٦٢ م

المكان... قسم العقم بكلية طب عين شمس برئاسة الأستاذ الدكتور عبد الحليم العقبي الذي لاحظ أن أحد

المرضى كان يتردد على العيادة الخارجية للعلاج من حالة عقم شديدة لا يزيد فيها عدد الحيوانات المنوية عن عدد الاف سم^{3} الطبيعى حوالى ٦٠ مليون سم^{3} ورغم العلاج المستمر لم تتحسن حالته ففقد الأمل واختفى المريض ليعود فجاة بعد ٦شهور بتحسن واضح وصل إلى ١٠ مليون سم^{3} ولما استجوب المريض عن سر هذا التحسن اتضح أنه استعمل لقاح النخيل طلح النخيل أو الدنكار بناء على وصفة أحد العطارين ولمدة ثلاثة أشهر بالاسلوب العلمي تم تجميع كميات من هذه المادة وضعت في داخل كبسولات طبية واستعملت في عدة حالات وصلت فيها نسبة النجاح إلى ٦٠٪ فقد ثبت من التحليل المعملي لطلح النخيل أنه يحتوي على طلح النخيل أنه يحتوي على بعض المواد الهرمونية التي تشبه الهرمونات الجنسية في الإنسان وإليها يرجع سر التحسن لهذه الحالات المرضية. إن الأبحاث المعملية الحديثة تؤكد من جديد أن معظم المواد التي تتكون منها الوصفات العلاجية الشعبية التي سجلها الفراعنة والعرب القدامى وأهل الصين والهند والعديد من الدول الأخرى في مخطوطاتهم يكاد يكون سليما بنسبة ٩٠٪ لدرجة. إن معظم الرسائل العلمية للحصول على درجة الماجستير والدكتوراه من كليات الصيدلة بجامعات مصر كل عام تدور موضوعاتها حول كيفية استخلاص الدواء من النباتات والأعشاب ومسألة وصول الباحث إلى النبات أو العشب الذي يريد إجراء دراسته عليه يكون عن طريق جمع المعلومات عن بعض ما سجله القدماء في مخطوطاتهم

أو من أفواه العامة من الناس عن بعض الوصفات الشعبية ومهمة الباحث في هذا المجال أن يقوم بعد الوصول إلى الحقائق العلمية عن النبات بفصل المواد الفعالة واستخدام الأساليب التكنولوجية الحديثة للوصول إلى الصورة المناسبة لتحقيق الشفاء نستخلص مما سبق أن هناك محاولات صادقة لعودة الاعتبار إلى الطب الفولكلوري كبديل للعقاقير الصناعية التي لاتخلو من المضاعفات والأضرار الجانبية الخطيرة وضرورة المحافظة على هذا التراث الطبي الشعبي الهائل والاستفادة منه لأن مثل هذه الوصفات الشعبية هي بمثابة معارف وكنوز طبية ربما تؤدي إلى تحقيق إنجازات علاجية رائعة لكثير من الامراض لكن كيف يتسنى لهذه الوصفات أن تبوح بأسرارها أن الإجابة على هذا السؤال نجدها في عدم رفض الإطباء للإستفادة من تلك الوصفات الشعبية أو انكار فوائدها ولذا يجدر بنا أن نوضح بصفة نهائية العلاقة بين العلم الحديث القائم على الإستقراء وبين تجارب المعالجين القدامى بالوصفات الشعبية المكونة من الأعشاب والنباتات تلك العلاقة التي تشبه العلاقة بين الزوجينسئم كل منهما أن يعيش بمفرده بعيدا عن الاخر لذلك نرى ضرورة المطالبة بزيادة البحث عن طرق علاجية أقل ضررا للجسم البشري لكن قبل القضاء على تجاوزات الحضارة الحديثة القائمة على استعمال الكيمياء في صناعة الدواء وقبل اختراع أساليب علاجية حديثة تهدف إلى التوفيق بين الإنسان والبيئة يجدر بنا البحث عن بدائل جديدة لها من الوسائل الطبيعية ما

يحميها من الأثار الجانبية الضارة وهذه هي مهمة البحث العلمي وهذه هي مهمة البحث العلمي وخاصة في مجال علم الفارماكولوجى تركيب الدواء وكل هذا نجده في تراث الطب الشعبي الذي ندعو إلى ضرورة التوفيق السريع بينه وبين الطب الحديث وتشجيع الباحثين على وضع قائمة جديدة من العقاقير التي تحتل فيها الأعشاب والنباتات مكانا مرموقا هذا ما دفعنا إلى جمع هذه الوصفات العلاجية الشعبية في هذا الكتاب لتكون سجلا ربما يفيد الباحثين والمهتمين بمجال التراث الشعبي.